# المحاضرة السادسة: النقد الثقافي

## 1-مقدمة:

يُعدُّ النقد الثقافي مقاربة متعددة الاختصاصات والموضوعات، ظهرت في خضم تيارات ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، مما جعل مفهومه يثير جدلا واسعا وسط الساحة الفكرية، لكونه ينظر إلى الخطابات باعتبارها قيمة ثقافية، ويسعى باستمرار للكشف عن أنساقها المضمرة، ومقاربتها في سياقاتها المختلفة؛ ثقافية، سياسية، تاريخية واجتماعية. وهو بذلك يخالف المناهج التي كانت تتناول الأدب باعتباره ظاهرة لسانية شكلية من جهة، أو جمالية فنية من جهة أخرى، كالبنيوية والسيميائية والنظرية الجمالية. وقد سعى إلى تأسيس بديل منهجي، تتمثل وظيفته في التنقيب والحفر داخل الخطابات بغية الكشف عن الخطابات المضادة ومحاولة وضعها في سياقاتها الخارجية .

فما هو النقد الثقافي؟ وما هي خلفياته المعرفية ومرتكزاته المنهجية؟ وما هي إيجابياته ومآخذه ؟ تلكم هي أبرز الأسئلة التي تحاول هذه المقاربة رصدها قدر الإمكان.

## 2-مفهوم النقد اثقافي:

هو المصطلح الذي أطلقه فنسنت ليتش على مشروعه النقدي، والذي يجعله بديلا مصطلحيا ل"مابعد البنيوي أو ما بعد الحداثي"، وقد استهدف تقويض البلاغة والنقد معا، بغية ايجاد بديل منهجي يشتغل على الأنساق المضمرة داخل الخطابات المضادة غير المؤسساتية، ودراستها وتحليلها في سياقاتها الأولى التي نشأت فيها.

وغالباً ما يتداخل هذا النوع من النقد مع النظرية الثقافية من الناحية الاجتماعية، لأنه يستهدف الكشف عن الأنساق الثقافية المضمرة، في المجتمع والثقافة .

يعرفه صاحبا كتاب "دليل الناقد الأدبي على أنه: "نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها موضوعاً لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها" ، ويقدمان له مرادفا هو "النقد الحضاري."

**3-المرجعيات المعرفية:**

تعود البدايات الفعلية لممارسات النقد الثقافي إلى أواخر القرن العشرين ( بداية التسعينات)، بدعوة الباحث الأمريكي فنسنت ليتش إلى نقد ما بعد بنيوي يتجاوز السجن الذي فرضه النقد الشكلاني والبنيوي على النص الأدبي، وإن كانت البدايات الأولى أسبق في الظهور من التاريخ الفعلي المذكور آنفا (القرن الثامن عشر) في أوروبا، غير أنها ظلت مجرد محاولات تفتقد إلى التحديد المنهجي والمعرفي. ويمكن إجمال المصادر المعرفية والمرجعيات الفكرية التي نهل منها النقد الثقافي في:

-النقد الجديد، حيث ارتبط النقد الثقافي بمختلف الآراء والتصورات التي قدمتها مدرسة النقد الجديد، لاسيما تلك التي جاء بها رولان بارت في مؤلفه الشهير "مسرحية راسين"، التي حاول أن يربط فيها بين النص وأنساقه الثقافية المختلفة.

-مركز بيرمنغهام: تعد البداية الحقيقية للدراسات الثقافية مع هذا المركز، الذي تأسس سنة 1964، في بريطانيا على يد ثلة من العلماء، أبرزهم ريموند ويليامز وستيوارت هول وريتشارد هوقارت. هذا الأخير الذي حدد منطلقاتهم النظرية بثلاث مصادر أساسية، هي :

-التاريخ والفلسفة،

-والسوسيولوجيا.

-والأدب والنقد.

-مدرسة فرانكفورت الألمانية: عمل رواد هذه المدرسة على ربط النص الأدبي ببعديه الثقافي والاجتماعي، نظرا للعلاقات الوطيدة بين أطراف هذه المعادلة "النص/ الثقافة/ المجتمع."

## 4- المرتكزات المنهجية:

يقوم النقد الثقافي حسب ليتش على ثلاث خصائص، هي :

-لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطابا أو ظاهرة.

-من سنن هذا النقد أنه يستفيد من مناهج التحليل العرفية من مثل تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية للتحليل المؤسساتي.

-إن ما يميز النقد الثقافي المابعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب، وأنظمة الإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارت ودريدا وفوكو، خاصة في مقولة دريدا أن لا شيء خارج النص، وهي المقولة التي يصفها ليتش بانها بروتوكول النقد الثقافي .

تأسيسا على ما سبق، سينظر النقد الثقافي إلى النص باعتباره "علامة ثقافية" قبل أن يكون قيمة جمالية، ولا تتحقق دلالة هذه العلامة إلا بإرجاعها إلى سياقاتها الأولى التي أنتجتها، وانطلاقا من هذا الطرح سيتم التنقيب في الأنساق المضمرة المستترة خلف الخطاب الجمالي والبلاغي، هذا الأخير الذي يعده النقد الثقافي نتاج المؤسسة، التي تمارس السلطة القهرية على الفعل النقدي، وهو أي النقد الثقافي يسعى إلى تحريرها.

وهكذا يقوم النقد الثقافي على تجاوز جماليات النصوص التي يربطها بالمؤسسة أي الثقافة الرسمية، إلى الاهتمام بالإنتاج الثقافي مهما كان نوعه أو مستواه أو الجهة التي أنتجته، إنه نقد ينفتح على النصوص الهامشية التي أفرزتها الثقافة غير الرسمية التي لم تنل تزكية المؤسسة.

## 5- إيجابيات النقد الثقافي وعيوبه:

حاول النقد الثقافي أن في يعيد النظر في كثير من المسلمات والمفاهيم التي كان يتقبلها الناس على أنها حقائق مطلقة، من خلال الثورة المعرفية والمنهجية التي أحدثها في عالم النقد الأدبي، وتقديم قراءات جديدة في ضوء المقاربة الثقافية، على اعتبار أنه " ليس بمنهج نمطي له حدود معينة، إنما هو إنساني معرفي يتناول مختلف المنجزات الفكرية والمعرفية والخطابات الحاملة لأنساق تاريخية أو تداولية اجتماعية بل حتى الخطابات المهملة كالإعلانات والمسجات المرتبطة بالهاتف والنكات التي يعبر عنها بصيغ لغوية أو الخطابات المرئية / المسموعة (الخطابات الصورية) وباختزال واضح كل الخطابات التي يعبر عنها من خلال الثقافة"

رغم ذلك، فقد أبانت الممارسات النقدية الثقافية عن الكثير من الثغرات الناتجة أساسا عن التصورات الذاتية الانطباعية والأحكام الأيديولوجية المتسرعة، والمنهجية التفكيكية المتبعة ف"النقد الثقافي تدمير واضح لكل ما هو ثقافي على قاعدة المغايرة والاختلاف"6، ويمكن إجمال هذه العيوب في :

-أدت مقاربة الأنساق المضمرة إلى إصدار أحكام سياسية تفتقد إلى الدقة والموضوعية، مما أدى إلى تسييس النقد الأدبي، وإفراغه من حمولته الجمالية والفنية.

– وقعت ممارسات النقد الثقافي في فخ التعميم، من خلال إصدار الأحكام بصورة مطلقة ناتجة عن انطباع ذاتي لدى الناقد الثقافي.

–اتضح جليا أن مقاربات النقد الثقافي هي عبارة عن تأويلات شخصية قد تصيب وقد تخطئ، بمعنى أنها نتائج انطباعية تحتاج إلى فحص علمي دقيق.

–طمس روح الأدب: من خلال استبعاد الجانب الجمالي والبلاغي في النصوص، وتحويل النص إلى وثيقة إخبارية محملة بالأنساق المضمرة والأفكار المؤدلجة.

–بروز الاديولوجيا على حساب النص الأدبي، كما فعلت المناهج السياقية سابقا، إذ يتم الاحتكام إلى النسق الثقافي الايديولوجي وبالمقابل يهمل الجانب الفني والجمالي.

## 6–خاتمة:

وصفوة القول، رغم ما وجه للنقد الثقافي من انتقادات إلا أنه أسهم بشكل هام ومتميز في مقاربة النصوص الأدبية، طبعا دون اعتباره النقد البديل، بل منهجا من مناهج النقد له سياقه الخاص ونصه الخاص ومتلقيه الخاص.

## 7–مراجع مفيدة للمحاضرة:


ـعبد الله الغذامي: النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط3، الدار البيضاء ، 2005، ص 31،32.

ـالرويلي ميجان، البازعي سعد: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط5، 2007، ص307.

ـحفناوي بعلي: مدخل إلى النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، ط1، 1994.

ـسمير خليل: فضاءات النقد الثقافي، من النص إلى الخطاب، دار تموز، مصر، ط1، 2014، ص14.

ـابراهيم محمود خليل: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2003، ص 140.